

الباب الرابع

الفكرة الوطنية في شعر أحمد شوقي

يدعو الباحث القراء للتفكر من أين جاءت الوطنية وماذا منبعها؟ الوطنية في معناها العصري هي عاطفة ادعتها العامة. وهذه الشعور ازداد قوة في تكوين جميع جوانب الحياة الإنسانية، عامة وخاصة. وإنما في هذا العصر الجديد جرى الحكم بأن لكل قوم له حق أن يبني دولة مستقلة وأن هذه الدولة لا بد أن يشمل القوم كلهم.

والشعوب هي نتيجة قوة الحياة في التاريخ فلذلك لا تزال تتموج ولا يجمد أو يموت. الشعوب أجناس مختلفة التي لا يمكن أن ترمز رمزا رياضيا. وغالبا أن لكل شعب له عوامل موضوعية التي يمتاز عن شعب آخر. مثاله: اتحاد النسب، واللغة والخرفية والعادة والتقليد واتحاد الدين.

بالرغم أن تلك العوامل المذكورة، هناك عناصر مهمة منها إرادة المجتمع أن يعيشوا معا. فهذه الإرادة هي التي تسمى بالوطنية تعني فكرة تلهم أكثر المجتمع وتوجب نفسه أن يلهم جميع أفرادهم.⁶⁵

Hans Kohn, *Nasionalisme: arti dan sejarah*, (Jakarta : PT Pembangunan dan Erlangga press, ⁶⁵ 1984), hal. 12.

بل قبل عصر الوطنية، يجد كل منا أفراد لهم شعور يشبه الوطنية. ولكن هذا الشعور متعلق بالأشخاص ولا يلهم أفرادهم. ويمكن أن يحرك هجوم الخارج شعورهم الوطني، مثل ما وقع في يونان، ومدة الحروب في الفرس، وفي فرنسا في حرب مائة سنة.⁶⁶

وعدة مراجع تذكر أن الوطنية يمكن أن يعتنقها الأفراد، أينما سكنوا ومع من سكنوا.

وهمة الوطنية ظهرت في بلاد قارة آسيا وأفريقيا في القرن 19 و 20 المسيحية. يقال لهذا عصر النشأة والنهضة الوطنية في آسيا وأفريقيا ضد استعمار البلاد الغربية. وفي تلك الحالة كانت مصر - كمولد أحمد شوقي ومنشئه وحياته - لا يخلو عن استعمار البلاد الغربية وهي بريطاني.

وكان أحمد شوقي قد عاش في عصر استعمار البريطانيين واستيلاءهم على مصر. هذه التي تجعل أحمد شوقي يعتبر ويتفكر في الوقائع المتعلقة بالوطنية أو الغيرة على الوطن. نعم هناك وقائع أخرى التي كانت أحمد شوقي لا يعيشها أو يعاصرها - لأنه لم يولد بعد حينذاك - ولكن هذه الوقائع يؤثر فيه بغير مباشرة لوعيه وتيقظه. وكل منها صار مراجع لأحمد شوقي ويؤثره في وطنيته أو حبه للوطن.

وهناك أفكار لأحمد شوقي في الوقائع التي صورها في الفنون الوطنية بواسطة شعره. وفي فرصة أخرى سعى أحمد شوقي لإيقاظ الفخر بمصر

⁶⁶ نفس المرجع، ص. 12. وأنظر أيضا: Hobsbawm, E.J, *Nasionalisme menjelang abad XXI*...hal. 153.

القديمة. وبعد ذلك حاول أن يظهر غيره وهمة جديدة تؤسس على ذلك التاريخ. فنشأت إرادة لإعادة ذلك الازدهار الماضي. وفي ذلك الحين أراد أحمد شوقي أن يعطي زادا للمصريين وهو العزة والدرجة العالية. ويدفع العمال كيلا يعجزوا و فاقدى الهمة لكي ينشطوا. ونادى في سائر أنحاء العالم بأن المصريين شعب حي وصحيح وذو ملكة لينال ازدهارا وفلاحا.⁶⁷ وفكرة الوطنية لأحمد شوقي هي أن الوطنية تعليم لحب الوطن والدولة.⁶⁸ وامتلاً قلب أحمد شوقي حماسة لينشر فكرة وطنيته إلى المصريين كلهم إما بواسطة فعله و إنتاجه الشعري.

الفصل الأول

صورة الفكرة الوطنية في شعر أحمد شوقي

كان أحمد شوقي صاحب الخديوي عباس ومستشاره وشاعره. ولذلك زعم الناس أنه خادم عباس. أحمد شوقي وعباس يتكلم كثيرا عن الوطنية خصوصا لاستيلاء انكلترا على مصر. وهما يتعاونان لطرد انكلترا. وصار أحمد شوقي وسيلة بين الخديوي عباس وسكرتير ألمانيا الذي يحمل تقييدات للورد كرومر. وعرفت انكلترا أن أحمد شوقي عدو من أعداءه

Juwairiyah Dahlan: *Puisi Syauqi dalam Patriotisme Mesir dan....* hal. 4⁶⁷
Depdiknas, *Kamus Besar Bahasa Indonesia*, (Jakarta, 2005), hal. 775⁶⁸

الذي كانت حركاته السياسية تضره. ثم رفعت انكلترا عباسا ورجاله منهم
أحمد شوقي إلى عرش مصر.⁶⁹

وبعد أن عزل عباس و تغريبه ثم استبدله حسين, كان أحمد شوقي لا
يستطيع أن يكظم غيظه لإنكلترا. وكان هو أشجع المصريين في زمن كثير
البلبله لاستيلاء جيش إنكلترا على مصر استيلاء شديدا روحا وفكرة. وكان
أحمد شوقي يظهر ولاءه لعباس فخافت انكلترا من دعوة أحمد شوقي إلى
بغض انكلترا.⁷⁰

وفكرة وطنية أحمد شوقي في شعره كثيرة جدا. وكان أحمد شوقي
يعيش في القصر. ثم بعد التغريب انقلب عيشه. وكان هو في عيش رغيد ثم
صار في حزن الذي لم يشعر به من قبل. وقلق قلبه من فراق وطنه وشعر
بالألم من تغريب العباس والانزعاج لحبه لوطنه.

وبدأ أحمد شوقي يشعر بالجانبين المختلفين من جوانب الحياة بين فرح
وحزن، وبين النعمة والألم. وهذه كلها يؤثر في أشعار أحمد شوقي ويصير
أحمد شوقي شاعرا الوطنية بعد أن كان شاعر القصر والشعب.

وكانت أحاسيس أحمد شوقي تميل في بدء حياته نحو قصر الخديوي
حاضت عائلته إليه بكثير من العطف والحنو. فكان لزاما عليه أن يواليه
ويخصه بشعر دون غيره. وكانت الأحداث النازلة مصائبها وفواجعها على
الشعب. لا تهن كيانه البعيد عن هموم الناس وأوجاعهم. وكان هذا شأنه

Juwairiyah Dahlan: Puisi Syaui dalam Patriotisme Mesir dan.....hal.11 ⁶⁹

⁷⁰ نفس المرجع، ص: 12.

ضمن الحقبة السابقة لوقوع الحرب العالمية الأولى . وكانت الوطنية ضمن هذه المدة الزمنية عند أحمد شوقي نتحصر في موالة الرجال الوطنيين المصريين الداعين إلى التحرر من الحكم البريطاني وأعوانه الكافرين بحق الوطن عليهم. ونزه سنة 1907 م يثور ثورة المطعون بكرامته حين يسمع اللورد كرومر (Lord Kromer) يستهزئ بشعب مصر، ويستخف برئيسها، الخديوي إسماعيل، فيقف وقوف الشجعان في ساحة الوعي، يرد الكيل كيلين، ويفخر بشرف مصر الطاهر الناصح، الذي شوّهه ظلم المحتلين، وافترائهم على الأبرياء الآمنين بما زرعه من الفتن والشقاق بين الشعب الواحد، الذي لن ينم على الضيم، بل سينهض بزارعه مصر وصناعتها ويعيد لها عزتها وكرامتها ويطور برامجها العلمية في سبيل نهضتها.⁷¹

وأحمد شوقي يحب مصر جدا، لأن مصر وطنه المتوحد في جسده وقد ارتبط بروابط مختلفة. وابتدأ أحمد شوقي حياته في مصر، ونشأ فيها وأكل من أضعها. وهو مسقط رأس والديه ومكان جده وجدته.⁷²

على جوانبها رفت تماننا* وحول حافظها قامت رواقينا
ومطلع لسعود من أواخرنا* ومغرب لحدود من أولينا

⁷¹ عبد الحميد الحر، أحمد شوقي أمير الشعراء...، ص. 123.

⁷² hal. 3. *Juwairiyah dahlan, Puisi Syauqi Dalam Patriotisme Mesir Dan ...*

ومن هنا ظهر تماما أن أحمد شوقي يحب وطنه مصر حبا شديدا.
تصور في أشعاره أن في مصر يأكل هنيئا، وهناك ينال فيها الدرجة وابتهاجه
بالشباب واحترامه لآبائه وأجداده الذين دفنوا في مصر.
وفي مصر يولد لأحمد شوقي أولاد وهو سيستودعهم وطنهم مصر.

لى فيك مدح ليس فيه تكلف * أملاه حب ليس فيه تملق
مما يحملنا الهوى لك أفرخ * سنطير عنها وهي عندك ترزق

ومعنى هذا أن أحمد شوقي يمدح مصر جدا بصراحة وبلا ريب. مدح
لا يرجو منه جزاء. ومدح إمتلأ بحب شديد لا يعرف أصله. حبه الشديد لمصر
يجعله يمدح مصر مدحا خالصا كثيرا. ومثل المصريين كأنهم طير من الطيور
سيذهب ويطير ويترك أبناءه في مصر.⁷³ هذا كله عبره في أبيات من
أشعاره. وقال أحمد شوقي أيضا إنه لا يغادر مصر أبدا.

كان قبل الحرب تردد أحمد شوقي مرارا إلى النيل. وله بيت في شاطئ
النيل، وبني قصره أيضا الذي يسمى بكرامة بن هاني هناك.⁷⁴ تعجب أحمد
شوقي كثيرا من جمال مصر، قراها، جمالها، وجزائرها، وشمسها.

⁷³ نفس المرجع، ص. 4.

⁷⁴ نفس المرجع، ص. 4.

كان أحمد شوقي يحب وطنه جدا. وهو إشتراك بشعره في دعوة المصريين إلى نيل الإمتقلال والحرية. ويرى ذلك في أشعاره منها ما وجهه إلى مسطفى كامل (1945). قال أحمد شوقي:⁷⁵

أتذكر قبل هذا الجيل جيلا * سهرنا عن محلم وناما
مهار الحق بغضنا بحام * وكان الشعر بين يدي جاما
من الوطنية استبقوا رحيقا * فضضنا عن معتقها الختاما

في هذا الشعر دعا أحمد شوقي شعوب المصريين إلى أن الجيل شابقا يحرك هممة إقاط المجتمع من غفلته عن أعدائه، وعن طبيعة السلطنة المغلك والدامخ للباطل. ودعا أيضا إلى حماسة حب الوطن ومسابقة كفاح هذا الحب مجملا وعترازا. ودعوة أحمد شوقي للمصريين إلى حب وطنهم قوية جدا وملتهبة. فأرض مصر التي هي معتمدة حياتهم لا بد أن يكافحونها. لكي تتحسن حياتهم وتنال الأمن التي يتمناها كل من المصريين وفي ضمنهم أحمد شوقي. وبالحماسة حرض أحمد شوقي المصريين ليعدوا إزادها رهم في الماضي. ويميزوا الخطأت في الحاضر ويجددوا الإزدهار في المستقبل الزاهر. وجعل أحمد شوقي الشبان هدف دعوته لأن هم جيل جديد لم يتصخ بوسح السباب واليأس.

⁷⁵ نفس المرجع، ص. 5.

ويظهر أن أحمد شوقي كثيرا ما يقرض الأشعار وللسبان. ويخبرهم بأن
مستقبل مصر في أيدهم ولهم أن يقدم مصر لنيل الإزدهار.
فقال في شعره:⁷⁶

ياسباب الديار مصر إليكم * ولواء العرين للأشبال
كلما روعت بشبهة يأس * جعلتكم معاقل الامال

وفي مقالة أحمد شوقي سنة 1914م، جعل إبنه الفداء. وكان يرج الله أن
يطيل أمره كي يرى شباب جنسه عاشوا سعداء في وطنهم المستقل العزيز. ثم
أحمد شوقي يدفعهم لنيل الإزدهار.⁷⁷
ونصح أحمد شوقي الشباب لكي يكون شجعان وإبداع الرجاء
بالصراحة وإزالة النزاع والتكبر وبمدح كفاحهم في الحركة الوطنية.
وكي يتحدروا من مكايد إنكلترا.⁷⁸

وتنازعون الحي فضل ثيابه * والميت ماقلرث من أكنانه
ولقد صدقتم هذه الأرض الهوى * والحر يصدق في هوى أوطانه
أمل بذلتهم كل غال دونه * وفقدتم معاز في وجودانه

⁷⁶ نفس المرجع، ص. 58.

⁷⁷ نفس المرجع، ص. 59.

⁷⁸ نفس المرجع، ص. 64.

الليث يدفعكم بشدة بأسه * عنه ويطمعكم بقرط لياته

ويعبر في البيتين أن التنازع لايجيى بالقائدة البتة وأن المصريين لابد أن يحبوا وطنهم حبا صادقا لأن ذلك صفة الحر والحر طبعا يصدق في حب وطنه. مصرشعب كبير. ولكن شعبا آخر قد حصر جو مصر بطياراته والمصريون لاتستطيع أن يأخذ أي فائدة من دائرة جوه لأنفسهم. وحين رأى هذه الحالة حزن أحمد شوقي وانكسر قلبه. ولذلك دفع أحمد شوقي الشبات ليتعلموا العلوم المتعلق بالجووية. وبعد ذلك، ظهر أبناء مصر الماهرون في العلوم الجوية كمحمد صدقي، كطيبار أول. فشكر على هذا الفوز الكبير فرأى شبان كيف يحترم الأبطال. فقال في شعره: ⁷⁹

مصر للطير جميع مسرح * مالنا فيها ذنابي أو جناح
رب سرب قاطع مربه * هبط الأرض مليا واستراح
لم لايفتن فتیان الحمى * ذلك الإقدام أو ذاك الطماح؟

عبر أحمد شوقي في ذلك الشعر حزنه والكساره لأن مصر ميدان واسع للطير ولكنها لاتملك شيئا من الطيارة ولا أحدا من الطيار فصارت مصر مشاهدة لطيارات الدول الأخرى.

⁷⁹ نفس المرجع، ص.65.

حين افتتح بنك مصر مدح أحمد شوقي الشعوب المصرية وأهلية
المؤسسين لهذا البنك مع أنهن من الرعية الشفلة. هذا يدل على أن المصريين
يريدون أن يرقوا أهليتهم وأنهم لاثقون لنيل الجوائز.
وشبان مصر قاموا بمشروعاتهم لجمع المادي. وهم يجمعون المال من
المتبرعين لبناء المصانع في مصر. وكانوا يرجون بوجود هذه المصانع إزالة
تعلقاتهم من مساعدة الخارج وإزالة المعطلين يمدح ذلك أحمد شوقي كثيرا
وذاك آخر مجموع أشعاره:⁸⁰

لايقيم على الضم الأسد * نزع الشبل من الغاب الوتد
كبر الشبل وشبت نابه * وتغطي منكباه باللبد
أتركوه يمش في اجامه * ودعوه عن حمى الغاب يزد

عبر أحمد شوقي في شعره أنه لايمكن للأغنيا المصريين أن يذروا الشعوب
المصرية السفلة بلاكسب ضعفاء. مثل أحمد شوقي الشعوب المصرية بالأسد
لأنه حيوان شجاع فلا بد لهم من الشجاعة لنيل الفوز. ولا بد من الحركة
والشجاعة.

وكان أحمد شوقي يحب العلوم شديدا لأن هذا العصر عصر العلوم
والحضارة وترقية التكنولوجيا. وكل ما شاهد الناس وسمعه كل يرجع إلى

⁸⁰ نفس المرجع، ص. 53.

العلوم والحضارة. رأى أحمد شوقي أن العلوم هو وسيلة الى الفوز والفلاح
والى سعادة العيش والولاية. وقال في حفلة إفتتاح جامعة مصر القديمة:⁸¹

يا باني المجد وابن المولعين به * أنشر ضياء الهدى من طي الرماس
وألق في أرض منف أس جامعة * من نورها تتهدى الدنيا بنبراس
ترك النفوس بلا علم ولا أدب * ترك المريض بلا طب ولا أس

وذكر أحمد شوقي في شعره طلبه للمعلمين والمربين للامة أن ينشروا نور العلوم
لينهض المصريين من ظلمة الجهل التي مثلها أحمد شوقي بالمقبرة.
وفي سعيه لحب الوطن اعتنى أحمد شوقي أيضا بالنساء. لأنه رأى أنه
ليس من صفة الوطنية إذا كانت الأمهات والنساء في الجهالة والشعب يسكت
عن ذلك. فجهالة الأمهات يؤثر كثيرا ويعطي كلفة للوطن. لأن الأمهات
الجاهلات سيربين الاولاد بالجهالة أيضا.
قال:⁸²

إني لأعذر كم وأحسب عبئكم * من بين أعباء الرخام ثقيلًا
وجد المساعد غيركم وحرمتكم * في مصر عون الأمهات جليلا
وإذا النساء نشأن في أمية * رضع الرجال جهالة وحمولا

⁸¹ نفس المرجع، ص. 72.

⁸² نفس المرجع، ص. 91.

ذكر هو أحمد شوقي المذكور أمله أن لا يداع المصريون تشقيف الأمهات والنساء ولأنهن سيكن مريبات لأولادهن قِذا كن نشأَن في الجهالة فكيف يربين أولادهن.

هكذا أهمية حب الوطن عند أحمد شوقي. وكان يحترم أيضا العرض والفوز وحرمة وطنه. وكان هو يعيش في مصر وطه الذي يعطيه الفرح والحزن معا. فيرجو لشبان مصر أن يعيدوا حرمة مصر وازدهارها. وكذلك إحترم أحمد شوقي التعليم للعموم والأمهات لكي يربين الجيل المستقبل بتربية أحسن من زمانهن. وذلك كله يدل على حب أحمد شوقي للوطن. وعبره في أشعاره ليلهم المصريين بأفكاره.

الفصل الثاني

تأثير الفكرة الوطنية في الاجتماعية

ومن المعلوم أن تأثير الوطنية في المجتمع واضح جدا وكذلك واضح أن الوطنية غرضها الدفع عن مصلحات القوم كل هذا مناسب في أي حالة كانت. فالعرب ومصر خصوصا حالتها وضعف جدا فتحتاج إلى هممة الدفع عن الوطن لتكون مجتمعا مستقلا حرا من الاستعمار ويكون العيش أحسن والتعليم اللائق بالمجتمع.

وكثيرا من المكافحين المصريين الذين هم بالصرامة كانوا يعلنون كفاحهم للدفع عن الوطن لنيل آمالهم وهي أن تكون مصر دولة مستقلة خاليا من الاستعمار في أي وجه كان. فمن الأبطال المكافحين لهذا الكفاح مع أنه متمسك بالقيم الإسلامية علي درويش، وعلي أبو نصر وحافظ إبراهيم ومصطفى كامل وأحمد شوقي وغيرهم. هم أعطوا الحماسة للمصريين وألهمهم بطريقتهم.

الشعور الوطنية التي تزرع عميقا في صميم قلب أحمد شوقي تدفعه للكفاح لحرية وطنه. فضلا عن شعوره بذلك بعد رجوعه من المغرب. فالحب للوطن يطلب كل واحد أن يكافح في إبطار أس الوطنية وخصوصا الحق لتعيين عيشهم بأنفسهم.⁸³ الكفاح الواضح ومستمر الرقي للاستقلال والعيش الأحسن يتصور بصورة البغض للمستعمرين

كان أحمد شوقي يلهم ويحرض الشباب أنهم لا بد لهم أن يكون أشجع وأظهر ويصنع الرجاء ويزيل التنازع والتكبر ويمدح أحمد شوقي جهادهم في الحركة الوطنية. فهذا يؤثر في شعب مصر ويجعلهم يجمعون القوة المادية أو المالية ويجعل الثقيف والتعليم في مصر أجود وأحسن منه من قبل.

Hobsbawm, E.J, *Nasionalisme menjelang abad XXI*, (Yogyakarta: Tiara Wacana, 1992), hal. ⁸³

156.

وفي فرصة أخرى كان أحمد شوقي يجزن كثيرا لأن الغربيين قد حصروا جو مصر وبتلك الحالة يجرى أحمد شوقي المصريين بواسطة شعره. فلهذا كان المصريون يتسابقون في أن يتعلموا العلوم الجوية، مثل محمد صدقي أول طيار مصري.⁸⁴

وفي كفاح مصر كان لأحمد شوقي حظا وافرا وقد ألهم كثيرا من المصريين بواسطة إنتاجه الأدبي. فكأن المصريين مسحورون بما قاله أحمد شوقي من أشعاره وإنتاجاته الأدبية ليقبل على مستقبل زاهر في وطنه. وطلبوا الإقرار بكينونتهم كالشعب المتقل والدولة المستقلة وطلبوا حرية المصريين على أساس القومية. والمصريين بحماستهم طلبوا قيادة وطنهم كالألة والقوة الأعلى التي حصلوا عليها.

وعلى هذا فالوطنية هي عنصر من العناصر الموجودة في هذا العالم. الوطنية التي تؤيد التقدّمات في الاقتصادية والتكنولوجية والتثقيف أو التعليم تجعل الشعوب في حاجة شديدة للتعاون بعضهم البعض وكذلك الرعية.⁸⁵ وأحمد شوقي كواحد من شعب مصر والمحب الصادق كافح بالجد وألهم شعبه ليعملوا أجود ما استطاعوا.

بعد أن بحث الباحث أشعار أحمد شوقي عن الوطنية يجد الباحث خلاصة القول وهي أن كل أشعار أحمد شوقي المذكورة في هذا الباب يدل على حبه الشديد لمصر فيضع آماله لتقدم مصر في جميع جوانب الحياة من

Juwairiah Dahlan, *Puisi Syauqi dalam Patriotisme Mesir dan*, hal. 65⁸⁴
Hans Kohn, *Nasionalisme arti dan sejarahnya*, (Jakarta: Erlangga, 1984), hal. 116⁸⁵

التثقيف أو التعليم والقوة الجوية وتثقيف النساء والأمهات والجانب
الاقتصادي وأحوال عالم مصر وقواها وشبانها. وجميع إنتاجاته الأدبية تلهم
المصريين كثيرا وتدفعهم للاشتراك في كفاح حريتهم وتقدم مصر.